تفريغ

مكر الله

للشيخ:

حمد الحميدي

البشريات
[1]
1437هـ - 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم **تفريغ**

مَكْرُ الله

للشيخ/ حمد الحميدي (رحمه الله)

مجموعة البُشْرَيات
قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

يقول الله -جلّ وعلا- في مُحكم التنزيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[1]، فربنا -جل وعلا- أمرنا أن نكون من عباد الله الصادقين، لا الكاذبين المخادعين.

ولذا حينما أمر الله -عز وجل- عباده أن يدعوه ويتقرّبوا إليه ويستسقوه؛ فإنّ العبد لله –عز وجل- هو بنفسه؛ بتطهير نفسه وتطهير ماله وتطهير بيته وتطهير المجتمع، لكي يسأل الله -عز وجل- فيدعوه، لأن الله -جل وعلا- وعد السائلين والداعين بإجابتهم، قال -جل وعلا- وهو أصدق القائلين: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[2].

---

[1] سورة التوبة، الآية: 119.
[2] سورة البقرة، الآية: 186.

فالله -عز وجل- حينما أمر عباده بأن يدعوه وبيّن أنه قريب لمن دعاه وسأله فقال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}؛ فقال: {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي}، فهل استجبنا نحن لأمر الله فأتمرنا بأمره وانتهينا عن نهيه؟

فإن كثيرًا من الناس اليوم يرفع يديه يستغيث ويستسقي وقد جاهر في بيته برفع آلات الملاهي والمنكرات، الدُّشوش التي تستقبل الكفر من المشرق والمغرب، ثم يقول "يا رب.. يا رب"؛ كيف تقول "يا رب يا رب" وأنت ما صَدَقت في دعوة الله؟! والله لو أن إنسانًا نظر إليك لما أظهرتَ له إلا ما يحب، فكيف إذًا تُظهر لله ما يُبغضه الله، وتجاهر بالليل والنهار بمعصية الله؟!

الله -عز وجل- قال: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}[3]، وقال: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[4].

وهذا أيوب -عليه السلام- لـمّا تضرّع بين يدي مولاه: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ}[5]؛ فما أن دعا إلا واستجاب له.

{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ}[6].

استجابة بعد الدعاء، ولكن جاء من عبد صادق، النبي كان على المنبر، فيدخل الرجل فيقول: يا رسول الله، هلَكت كذا وهلَكت كذا فادعُ الله لنا، فرفع بأبي هو وأمي يديه ثم استسقى ودعا، يقول الراوي: "فما في السماء سحاب، فما نزل رسول الله من المنبر إلا ورأسه يقطر من المطر"، .

الصدق مع الله!، أما الكذب والمخادعة فلا تنفع، فاتقِّ الله وراقب الله -عز وجل- في حالك ومآلك.

هذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما خرج يستسقي هو الصحابة -رضي الله عنهم- قال: "كنّا نتوسل برسولك فتسقينا وإنا نتوسل بعم رسولك، قم يا عباس ادعُ الله لنا بأن يُغيثنا الله". فقام ابن عباس فجاء المطر.

---

[3] **سورة النمل، الآية: 62.**
[4] **سورة غافر، الآية: 60.**
[5] **سورة الأنبياء، الآية: 83-84.**
[6] **سورة الأنبياء، الآيات 87- 88.**

وهذا معاوية -رضي الله- عنه قال للأسود: "قم فادعُ الله لنا بأن يغيثنا"، فرفع يديه فاستجاب الله فأنزل المطر.

إذًا المانع من المطر أنت، كم تخلفنا يا عباد الله عن الأوامر؟ وكم ارتكبنا من المحاذير؟

ولذا كان النبي هو وصحابته -رضي الله عنهم- في غزوة أحد كان النصر حليفهم، فما إن قام الرماة بمعصية رسول الله معصية واحدة؛ لم يجعلوا الدشوش في بيوتهم، ولم يأكلوا الربا، ولم يزنوا، ولم يلوطوا، ولم يصنعوا الخنا، ولم يشربوا الخمر، ولم يوالوا الكفار، ولم يتحاكموا إلى الطاغوت، ولم يستهزئوا بالله، ولم يشاهدوا المسلسلات بعد المغرب وغيرها، ولم يتبرَّأوا من أولياء الله المجاهدين، ولم يوالوا أعداء رب العالمين؛ ومع ذلك بسبب ذنب واحد انقلب بدل أن يكون نصرًا فكانت هزيمة، فشُجّ رأسه وكُسرت رُباعيَّته، كلُّ هذا بذنب واحد!.

كم جاهرنا نحن بالملاهي والمنكرات؛ حلقنا لحانا، أسبلنا ثيابنا، أكلنا الربا، سمعنا الغنا، أدخلنا الخادمات في البيوت من الذي أحلّ إدخالهنّ؟ من يا عباد الله؟

شرب كثير من الناس الخمور واستخدموا المخدرات، بارزنا الله -عز وجل- بالمعاصي في الليل والنهار، ومع ذلك "نحن بلد التوحيد ما علينا خوف! وما علينا عقوبة"!!، أمنٌ مِن مكر الله؛ {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}[7].

النبي كان إذا رأى السحاب خرج من بيته ودخل كئيبًا حزينًا، تقول عائشة – رضي الله عنها-: (يا رسول الله؛ الناس إذا رأوا السحاب فرحوا)، فقال: (يا عائشة وما يدريكِ أن يكون عذابًا؟).

ومن معه؟ معه صفوة الخلق صحابة النبي ، هل جاهروا بالمعاصي والمنكرات يا عباد الله؟

إذًا نحن مستحقون للعذاب ولكن من رحمة الله -عزّ وجل- يُملي للعباد، ولذا جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى -رضي الله عنه- أن النبي قال: (إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته)، {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى

[7] **سورة الأعراف، الآية: 99.**

وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}[8]، والله ما بيننا وبين الله حسب ولا نسب، ما أهون الخَلْقَ على الله إذا هُم أضاعوا أمر الله!.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ}[9].

فاتقوا الله يا عباد الله، وأنيبوا إلى ربكم، وأسيئوا الظن بأنفسكم، وأحسنوا الظن بربكم، والحذر بأن تُعجبوا بأعمالكم؛ فهذا ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول: "يا ليتني شجرة تُعضد"، وهذا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- يقول: "يا ليت الأمر كفافًا لا لي ولا عليّ"، عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- الذي يسيّر الجيوش ولا يمنعها وينصرها لا يحاربها، ويقطع الكفار ويذلهم لا يعزّهم ويمكّنهم، ومع ذلك يقول: "يا ليت الأمر كفافًا لا لي ولا علي"!!.

فاتقوا الله يا عباد الله، وراقبوه بالليل والنهار تفلحوا. وطهّر نفسك؛ وأول ما تطهر نفسك من فساد قلبك؛ من الدغل، من الغش، من الحقد، من الفاسد، ولذا عندما سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الناس قال: (كل مخموم القلب، صدوق اللسان). قَالُوا: (صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟) قَالَ: (هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد).

انظر إلى معاملاتك؛ تتعامل بماذا؟ أتتعامل بالحرام من الربا والغش في البيع والشراء ومن المعاملات الفاسدة ومن أكل أموال الناس بالباطل؟ فإن النبي ﷺ كما جاء في (صحيح مسلم) من حديث أبي هريرة أنه ذكر أن (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر)؛ لا كاميرات ولا تصوير، وإنما متذلّل لله -عز وجل-، لا يرائي ولا يُسمع في ذلك، ومع ذلك: (يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب)، قال النبي ﷺ: (ومطعمه ومشربه حرام وملبسه حرام، وقد غذي في الحرام فأنى يستجاب له؟!).

إذا جاءت الأمطار وجاء الربيع فانظروا كيف يفرح الناس بنِعَم الله -عز وجل-، كان بنو إسرائيل فيما حُكي عنهم أن الناس إذا انتهوا من الوليمة قاموا وتغوَّطوا عليها والعياذ بالله!.

---

[8] **سورة هود، الآية: 102.**
[9] **سورة إبراهيم، الآيات: 28-29.**

ونحن نقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله!" ونحن كذلك، الإغفال عن نعم الله -عز وجل- ونزدريها كأن ليس لها قيمة، بالأمس في بني إسرائيل كانت البهائم إذا دعت استُجيب لها.

سليمان -عليه السلام- لما خرج يدعو ويستسقي، وإذا بنملة رافعة بقوائمها إلى السماء، قال سليمان -عليه السلام-: (ارجعوا فقد كُفيتم بدعوة غيركم)، أما اليوم فإن البهائم تلعننا بسبب ما قُمنا به ممن معصية ربنا والعياذ بالله!.

وفَّق الله الجميع لما يحب ويرضاه، اللهم توفَّنا مسلمين وألحقنا بالصالحين..

اللهم اجعلنا ممّن يصدُق في اللجوء إليك والتعلُّق بك. اللهم اجعلنا من عبادك الصادقين، اللهم اجعلنا من عبادك الصادقين..

اللهم طهر قلوبنا من الكفر والنفاق ومن الشرك والشِّقاق، اللهم طهِّر أعمالنا من الرياء والسمعة، وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة، وآذاننا من سماع الحرام، وأيدينا من البطش بالحرام وأرجلنا من المشي للحرام..

اللهم يا حي يا قيوم اشرح صدرونا بالإسلام، ونوِّرها بالإيمان، وبلغنا درجة الإحسان..

اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتدّ ونعيمًا لا ينفد..

اللهم يا حي يا قيوم كن لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، اللهم أقرّ أعيننا بنصرة الإسلام والمسلمين واجعلنا من أنصاره وحُماته..

اللهم يا حيّ يا قيّوم عليك بأعداء الملة والدين، اللهم عليك بأمريكا فإنهم لا يعجزونك، اللهم شتِّت شملهم، اللهم كما أنها اليوم ولايات متَّحدة اللهم اجعلها ولايات متفرقة متمزقة..

اللهم يا ذا الجلال والإكرام اجعل ديارهم وأعراضهم وأموالهم غنيمة لإخواننا المسلمين، اللهم مكنّا من رقابهم والخوض في دمائهم وسبي نسائهم، والشهادة في سبيلك والجهاد في ذاتك يا حي يا قيوم..

اللهم عليك بالرافضة، اللهم عليك بالرافضة، اللهم عليك بالمنافقين..

اللهم وأصلح فساد قلوبنا..

اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوء؛ اللهم فأشغله بنفسه.. اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا حيّ قيوم من أراد تدنيس بيت الله الحرام من المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ اللهم عليك به، اللهم من أراد تطهيرها مما يُغضبك اللهم كُن معه ناصرًا ومؤيدًا..

والله أعلم، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.